الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩- ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

اليهود والفلسطينيون . أرنولد توينبى

لمعى المطيعى
مستشار بالمجلس الأعلى للثقافة

وحدة بالمركز للقدس

* كلام العرب كثير ...
* المقالات الإنشائية كثيرة ...
* نجتمع وننفض ...
* تحية لـ (الايسيسكو) وهى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ...
* المنظمة قررت إنشاء وحدة للقدس فى إدارتها العامة مهمتها متابعة شئون القدس ...
* أهمية إنشاء وحدة أو لجنة دائمة بمركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط ، وتبدأ بهذه الصفوة التى تجتمع اليوم للحديث عن القدس ...

للتاريخ رأى

* إسرائيل تحتفل بالألفية الثالثة ليهودية القدس ...
* هناك رأى للتاريخ للمؤرخ البريطانى العالمى أرنولد تونيبى ...
* رفق هذا نص المناظرة بين تونيبى وياكوف هيرزوج سفير إسرائيل فى كندا - ٣١ يناير ١٩٦١.

قال توينبى تحديداً

* لست عربيا ولا يهوديا ، فليس لي أية مصلحة شخصية فى أن أحابى أو أحمل على أى الفريقين .

*أعتقد فيما يتعلق بالمشكلة القائمة بين الفلسطينيين العرب والصهيونيين أن الفلسطينيين العرب على صواب ،
وأن الصهيونيين على خطأ.

* الجزء الأكبر من الأرض فى إسرائيل اليوم هو شرعا ملك لأولئك العرب الذين طردوا من ديارهم .

* لم يكن فى فلسطين عام ١٣٥ م سكان من اليهود لهم كيان .

* منذ عام ٦٤ قبل الميلاد لم تكن هناك دولة يهودية فى فلسطين .

* طالب الصهيونيون بقيام دولة لليهود ، وفى الوقت ذاته أنكروا على العرب الذين طردوا من فلسطين نفس الطلب .

* معاملة اليهود العرب فى فلسطين مشابهة من الناحية الأخلاقية لمعاملة النازى لليهود أثناء الحرب العالمية الثانية .

* إسرائيل الصهيونية الجديدة فى فلسطين طبعة ثانية من الدول الغربية العنصرية الحديثة.

* أهديت كتابى إلى المؤرخ الكبير عندما حضر إلى القاهرة فى ديسمبر ١٩٦١ وقدمنى إليه المرافق له الأستاذ الدكتور محمد أنيس وكنا فى الجمعية الجغرافية ، صدر الكتاب يوم حضور توينبى إلى القاهرة .

هذا هو رأى التاريخ من مؤرخ عالمى محايد فى العمل ؟

* أين اتحاد المؤرخين العرب ليشارك فى إعداد كتاب أسود عن موقف إسرائيل من القضية برمتها ؟

وللمنظمات الدولية رأى

* يونيو/ يوليو عام ١٩٣٠ بعثت عصبة الأمم المتحدة لجنة دولية .
* أقرت اللجنة الدولية للمسلمين بملكية مكان البراق واعتباره جزءا من ساحة الحرم الشريف .
* أقرت اللجنة الدولية للمسلمين بملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام الحارة المعروفة بحارة المغاربة.
* سمحت اللجنة الدولية لليهود بممارسة ما اعتادوه من البكاء إلى جانب الحائط.

قرار مجلس الأمن ٢٤٢ وقام بصياغته اللورد كاردون :

* يجب أن تكون هناك قدس عربية وقدس إسرائيلية لكل منهما سيادة على منطقها ضمن حدودها .

قرار مجلس الأمن بشأن القدس رقم ٢٥٢ فى ٢١ مايو ١٩٦٨:

* المجلس يعتبر أن جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية وجميع الأعمال التى قامت بها إسرائيل بما فى ذلك مصادرة الأراضى هى إجراءات باطلة .

قرار مجلس الأمن رقم ٤٧٨ الصادر فى ٢٠ أغسطس ١٩٨٠:

* عدم الاعتراف بالقانون الأساسى الذى أصدره الكنيست الإسرائيلى بشأن توحيد القدس الشرقية والغربية وجعلها عاصمة موحدة لإسرائيل .

هذه هى قرارات المنظمات الدولية ، والآن أين اتحاد المحامين العرب ليشارك فى الكتاب الأسود المقترح ويقوم بتوعية المجتمع الدولى .

وللرموز الدينية رأى

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وقداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية اتفقت كلمتهما فى مؤتمر كبير على أن فلسطين والقدس والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة أمانة فى أعناقنا ويجب أن ندافع عنها بكل ما نملك .

والآن ما العمل ؟

* كل ما سبق جيد وصحيح ومطلوب.
* كل ما قيل هنا جيد وصحيح ومطلوب.
* ونضيف إليه أمرين :

الأول : وحدة الصف العربى وهذا هو دور الجامعة العربية .

الثانى : الديمقراطية وحقوق الإنسان وهذا هو دور الشعوب العربية .

* بدون ديمقراطية لا تقوم وحدة صف عربى متينة .
* بدون ديمقراطية وحقوق إنسان لا يستطيع أن ندخل حلبة السباق مع إسرائيل فى المجتمع الدولى .

مناظرة توينبى وسفير إسرائيل

نص المناظرة بين المؤرخ الفيلسوف " أرنولد توينبى" و " ياكوف هيرزوج" سفير إسرائيل فى كندا –٣١ يناير ١٩٦١ (نقلا عن كتاب – أرنولد توينبى المؤرخ الفيلسوف – للكاتب المؤرخ " لمعى المطيعى" ديسمبر ١٩٦١ صفحات ٧٠– ٨١).

توينبى واليهود

فى ٣١ يناير سنة ١٩٦١ حدثت مناظرة بين المؤرخ البريطانى (أرنولد توينبى) وبين (ياكوف هيرزوج) سفير إسرائيل فى كندا ، وكانت هذه المناظرة فى الدار المقامة على أرض جامعة ماكجيل تعرف باسم (ميليل هاوس) وهى معدة للطلبة اليهود وقد امتلأت الدار بطلبة وممثلى الصحافة ، وكان بين من حضروها أحد سكرتيرى سفارة الجمهورية العربية وممثلو قنصلية إسرائيل فى مونتريال .

وقال المؤرخ البريطانى والفيلسوف العالمى توينبى : إن الجزء الأكبر من الأرض فى (إسرائيل) اليوم هو شرعا ملك لأولئك العرب الذين طردوا من ديارهم ، وأن الجزء الذى يخص اليهود شرعا (هو الجزء الذى اشتروه ودفعوا ثمنه) ، أما الباقى فهو ليس ملكا لهم لا شرعا ولا أدبيا .

ومما قاله أيضا : إنكم تطالبون بحق اليهود فى العودة إلى فلسطين على الرغم من أنه لم يكن هناك فى فلسطين عام ١٣٥ ميلادى سكان من اليهود لهم كيان .

إن اليهود دخلوا فلسطين فى صورة أقلية لحد ما ، ومنذ عام ٦٤ قبل الميلاد لم تكن هناك دولة يهودية فى فلسطين .

لقد طلبتم بالعودة لا بمقتضى وعد بلفور (وطن قومى لليهود دولة يهودية) وإنما طالبتم بصورة متطرفة بقيام دولة ، فى الوقت نفسه أنكرتم على العرب الذين طردوا من فلسطين نفس الطلب الذين تدعون أنه كطلب أساسى للشعب اليهودى ، إن فى هذا لتناقض كبير .

وكان المؤرخ البريطانى قد مهد لهذه المناظرة بتصريح ألقاه فى الأسبوع السابق عندما قال لمستمعيه من الطلبة اليهود فى جامعة ماكجيل : إن معاملة اليهود للعرب فى فلسطين سنة ١٩٤٧ كانت مشابهة من الناحية الأخلاقية لقتل النازى لليهود أثناء الحرب العالمية الثانية .

وأكد توينبى فى سلسلة من الموازنات : أن القتل هو القتل ، سواء أكانت الضحايا عربيا واحداً أم عدة ملايين من اليهود . وقال أيضا : لقد كانت الضحايا فى المذابح التى أشير إليها – وإنى لا أشير إلى القتال بين الإسرائيليين المسلحين والقوات العربية – من سكان فلسطين المحليين . إن عربا كثيرين يقيمون الآن على مرأى من ديارهم السابقة وأشجارهم المثمرة ومزارعهم ، وهذه هى مأساة الطبيعة الإنسانية ، وهى أن القوم الذين يعانون من شىء يجب أن يفرضوا هذا الشئ على قوم آخرين ، فلقد عانى اليهود طوال آلاف السنين من القتل والسرقة والطرد من ديارهم .

وقد كتب الفيلسوف توينبى كذلك فصلا فى المجلد الثامن من مؤلفه المشهور (دراسة التاريخ) تحت عنوان (اليهود والغرب الحديث) تعرض فيه للعدوان الصهيونى فى فلسطين وللمظالم التى أوقعها الصهيونيون بالعرب الفلسطينيين وقرر أن مظالم الصهيونيين بالعرب أنكى وأمعن فى الإثم من تلك التى أوقعها النازيون باليهود .

وعلى إثر نشر المجلد المذكور فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٤ قامت قيامة اليهود فى أنحاء الدنيا وخصوصا فى أمريكا فحملوا على المؤرخ العظيم حملات قاسية حاولوا فيها تبرئة أنفسهم مما دفعهم به من ظلم وتعصب ، فى مجلة لهم تصدر فى أمريكا

تدعى " جويشن فرونتير" فلفت نظر المؤرخ إلى إحداها أستاذ فى إحدى الجامعات الأمريكية ، وقد كتبتها صحفية يهودية تدعى " مس سيركن " فتصدى البروفسيور توينبى " للرد عليها فى مقال هذه ترجمته :

إلى محرر " جويشن فرونتير" ...

سيدى ...

لقد بعث إلى البروفيسور أرنست صمويل من جامعة نورث وسترن المقال الذى كتبته مس سيركن بعنوان " البروفيسور توينبى واليهود " وبعد قراءة المقال والتفكير فيما جاء فيه ، لا أجد نفسي مقتنعا بنقدها للفصل المعنون " اليهود والغرب الحديث " المنشور فى المجلد الثامن من كتابى " دراسة فى التاريخ " ، ويحلو لى أن أوضح باختصار لماذا أفكر على هذا النحو .

إن مس سيركن لمخطئة فى ظنها أن " نشاط مستر توينبى فى وزارة الخارجية المشوب بالميل إلى العرب " يساعد على جلاء موقفه الحالى ، ومع أنى فى كلتا الحربين العالميتين خدمت موظفا مؤقتا فى وزارة الخارجية فإنى لم أكن قط فى مجال موالٍ للعرب، وكنت على الدوام معارضا شخصيا للسياسة البريطانية بشأن فلسطين . ومس سيركن لم تشر إلى القسم الذى كتبته فى الفصل المعنون " مسئولية بريطانيا " الذى أصررت فيه على أن بريطانيا تحمل أكبر قسط من المسئولية فى النزاع بين العرب واليهود ... وقد جاء فى هذا الفصل – دراسة التاريخ ص ٣٠٤ – ما يلى :

"إن الدولة الغربية التى تتحمل نصيب الأسد فى المسئولية عن الخيبة فى فترة بين الحربين لإنقاذ الموقف فى فلسطين هى بريطانيا التى كانت أولا الدولة المحتلة وبعد ذلك الدولة المنتدبة ، وقد أدارت شئون البلاد من سنة ١٩١٧ – ١٩٤٨ . وفى خلال هذه السنين الثلاثين الحرجة كان موقف الحكومة البريطانية الشامل لجميع الأحزاب والذى طبقته جميع الحكومات المتتابعة – هو التعامى المقصود الجدير بالإدانة .

فمنذ البداية حتى النهاية لم تكن فى تفكير البريطانيين أية خطة عملية لإقرار الأمور سلميا فى وضع فلسطين غير المستقر القابل للانفجار والذى أوجدته بريطانيا بتروٍ وتعمد، وأن الحكومة البريطانية لم تحاول إقرار الأمور حتى بالنسبة لعدد السكان فى ناحية

عنصرهم كيهود وعرب إلى أن سمح للأقلية اليهودية بأن تصبح كبيرة فى عددها - ما يقرب من ثلث مجموع السكان ، وبذلك لم يبق هناك أى أمل فى أن يرضى اليهود البقاء فى حكومة ثنائية قومية أو فى إمكان إيجاد مثل هذه الحكومة ، إن كان قدر لها أن تنشأ على الورق على اعتبار أن من الممكن لها أن تحكم نفسها وفقا للأسلوب المتبع فى نظام حكم الأكثرية العربى .

ويستطرد " توينبى " قائلا :

وباعتبارى بريطانيا ، فإنى أشعر شخصيا بهذه المسئولية ، ولأنى لست عربيا ولا يهوديا ، فليس لى أية مصلحة شخصية فى أن أحابى أو أحمل على أى الفريقين ، وأنى أعتقد فيما يتعلق بالمشكلة القائمة بين الفلسطينيين العرب والصهيونيين أن الفلسطينيين العرب على صواب ، وأن الصهيونيين على خطأ ، وأن رأيى فى هذه المسألة كرأى مس سيركن عرضة للاعتراض عليه ، إلا أن قيمته جاءت من أنه لا يقوم إلا على الوقائع التى أراها بنفسى .

إنى أرى القصة كمأساة ، ولا أرى أن المأساة بدأت بنشوب القتال فى فلسطين فى إبريل عام ١٩٤٨. إن الكثير من المسئوليات الناتجة عن أعمال الصهيونيين فى فلسطين ضد العرب فى سنة ١٩٤٨ تقع ، كما أعتقد وكما سبق لى أن قلت على بريطانيا ، إذ هى بوصفها دولة منتدبة استعملت قوتها لتجعل الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى لا يمكن أن يقبله السكان العرب فى البلاد باختيارهم ، أمرا ممكنا ، لأنها رفضت باستمرار مواجهة الحقائق فى أنها كانت تتبع سياستين متناقضتين فى وقت واحد ، وأنها برفضها الاختيار بينما كانت تدفع فلسطين نحو الكارثة بخلقها موقفا أصبح معه عيش العرب واليهود جنبا إلى جنب فى فلسطين أمرا يزداد صعوبة أكثر بأكثر ، ولكن المأساة كما أراها ترجع إلى ما قبل صدور وعد بلفور بكثير بل أرى أدوارها الأولى ابتدأت باهتداء كل من الصهيونيين والعرب إلى الآراء والعقائد الغربية الدنيوية إلى العنصرية .

وأعتقد أن اليهودية هى كأى نظام إنسانى آخر مزيج مفجع من الخير والشر وأن ما امتازت به اليهودية ليس هذا ، بل سيطرة اليهودية على كل من هذين العنصرين المتضادين فيها ، وتحويل نصف الجنس البشرى - النصف المسيحى والمسلم - إلى الروح اليهودية .

وهكذا انتقل التطرف في الخير والشر في اليهودية إلى الإسلام والمسيحية ، والأديان الثلاثة ترى صورتين متعارضتين لله ، فهم يرون الله في صورة الحب والغيرة، ونعتقد بأنفسنا أننا شعب الله المختار، فإنه يوسوس إلينا أن نحتقر الأديان الأخرى وأن نخمد أنفاسها عندما نقدر على ذلك .

وأول المتعصبين في التاريخ الذين عرفتهم ، ليسوا هم أقرباء البرابرة والمسيحيين الفزعوت كما قيل ، لأن كلمة " بيحوت" مشتقة من اسم (الفزعوت) ، بل هم المكابيون هذا إذا كانت كلمة (متعصب) تعني كما أعتقد ، ليس مجرد ظالم ، بل الشخص الذى يضطهد شعبا من غير دينه بسبب اختلافه عنه في الدين والعادة والعقيدة .

والمكابيون أجبروا " أدوم والجليل " على اعتناق اليهودية بالقوة ، وبذلك مهدوا لأن يكون هيرود والمسيح يهوديين ، وليسا من الأمميين ، وأن نتيجة التعصب تأتى أحيانا بالسخرية المحزنة .. وإنه لمحزن حقا أن تكون مجرما بالتعصب ، أو أن تكون ضحية له ؛

وقد كان اليهود على التعاقب مجرمين به ، وضحايا له منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، وأن السخرية الأكيدة التي تستخرج من التاريخ اليهودى ، هي أن اليهود كانوا أول المتألمين من روح التعصب الذى كانوا هم أول من أشعل نيرانه .

وأن مأساة التاريخ اليهودى الحديث هي أنها بدلا من أن يتعلم اليهود من مصائبهم وآلامهم ، قد صنعوا بغيرهم العرب ما صنعه الآخرون بهم ، أى النازيون . ومع أني عنيت بأن أظهر براءة الصهيونيين من جريمة الإفناء التي أقدم عليها النازيون عن عمد وبطريقة منظمة ، ومع بيان الفرق في العدد بين الضحايا النازيين عن عمد وبطريقة منظمة ، ومع بيان الفرق في العدد بين ضحايا النازيين من اليهود وضحايا الصهيونيين من العرب ، فإني واثق في أني على صواب في تمسكي برأيي ، وهو أن مراتب الجريمة والمأساة لا يحكم عليها بعدد الأرواح والمأساة التي يرتكبها كل منا ويتألم منفردا ، ولا يمكن أن يكون ذلك جملة .

إن مأساة العرب الفلسطينيين بسبب ما حل بهم من مصائب على الإسرائيليين ، ليست بمأساة يهودية خاصة . بل هي مأساة عامة ، مثلها مثل المصائب التي حلت بهم، لهو جرم البشر جميعا معرضون للوقوع فيه . ولكل شئ في الحياة ثمن وتعويض ، وأن

التعويض لموقف المرء المفجع من كونه عضواً مضطهدا فى المنفى ، هو أن يكون كمن يقوم بدور العاشق الظريف ، وثمن الموقف المفجع فى أن يكون المرء مواطنا فى دولة إسرائيل المستقلة ذات السيادة المنتزعة بقوة بريطانيا أولا ، ثم بقوة الأسلحة الإسرائيلية ، من بلد كان يسكنه مثلا شعب آخر ، هو أن يكون كمن يتبادل الأدوار مع مضطهديه السابقين ، وإسرائيل اليوم سياسيا مثل سائر الدول الأخرى .

وكتب البروفيسور توينبى فى صفحة ٣١٢ من المجلد الذى سبقت الإشارة إليه بمناسبة مولد إسرائيل كدولة يقول : إن إسرائيل الصهيونية الجديدة فى فلسطين على ضآلتها وعداوتها مع جيرانها طبعة ثانية من الدولة الغربية العنصرية الحديثة ، وهى مع إخلاصها لمبادئها لا تعدو كونها مهزلة ، وأنه لمن سوء حظ اليهودية والعالم أن هذه الدويلة قد أحاط بمولدها الكثير من المثاليات ، والتضحية بالنفس ، والجريمة ، والظلم والألم ، وقد قدر لها أن ترى النور فى اللحظة التى يرجى فيها لمثل هذا النوع من المجتمعات التى أصبحت إسرائيل أصغر عضو فيها ، أن تقترب فى النهاية إلى ظلمة الفشل .

ويعود " تونيبى " ليقول : " يا له من مصير مرعب ، لكن لا يزال اليهود من الناحية الروحية شعبا له صفاته الخاصة ، لما تجمع لديه من تجارب قاسية فاقت ما لدى الآخرين ، ولأنه تعلم من المحن التى أصابته هذه الدروس الروحية العميقة التى نقلها إلى نصف البشرية من مسلمين ومسيحيين ، ولهذا فإنى أشعر بأن مأساة جرائم إسرائيل والصهيونية أعظم شأنا من مأساة جرائم ألمانيا النازية .

إن مقياس المأساة ليس إحصائيا ، بل روحيا ، وأن أصحابى الألمان عندما اقترفوا ما اقترفوا من آثار ضد اليهود لم تكن لديهم خبرة اليهود الواسعة وتجاربهم ، ولا ما لدى اليهود من استنارة روحية فياضة " إن من أعطى الكثير يجب أن يطلب منه الكثير " ، وأعتقد أن هذه الحكمة يهودية لأنها تنسب للمسيح وإنى واثق من أنها حقيقة ... بل حقيقة سامية عندما يكون ما يعطى ألما ، وما يطلب هو الرحمة والخير .

إن مستقبل إسرائيل الروحى والسياسى مرتبط بمستقبل اللاجئين العرب الفلسطينيين، وإن إلغاء المظالم التى حلت بهولاء اللاجئين هو على ما أعتقد أساس واجبات إسرائيل وأسمى مصلحتها . والمرء كإنسان يحاول التقليل من شأن الظلم الذى اقترفه والألم الذى

أحدثه . لكن هذا المرض من بين جميع أمراض الإنسان الروحية يجلب حقاً النقمة الإلهية. والطريق الوحيد لوضع حد لأية مأساة هو فى القضاء على سلسلة الإثم والألم القاتلة ، والطريق الوحيد للقضاء عليها هو اعتراف المرء بذنبه ، وفى أن يعمل كل شئ فى حدود إمكانه ليكفر عنه . هذه هى الطريقة الوحيدة لإسرائيل وبريطانيا ولألمانيا ، لأنها الطريقة الوحيدة لأى واحد منا .

(" أرنولد توينبى" : عن مجلة (جويش فرونتير) فبراير ١٩٥٥)